ماذا كان دور المستشرقين في حرب اكتوبر

كان للتحليلات والمعلومات التي قدمها المستشرقون الاسرائيليون قسط وافر من الانتصار العسكري الذي حققته اسرائيل عام ١٩٦٧ . فانه بالمقدار الذي نظر فيه الاسرائيليون الى دايان عام ٦٧ وبالهالة التي اغدقوها عليه وعلى غيره من العسكريين ، أغدقت الهالة ايضا على المستشرقين الاسرائيليين ، وأخذ الطلب يزداد عليهم وعلى مؤلفاتهم ، حيث كانوا يدعون لاجراء مقابلات في الوسائل الاعلامية المختلفة ، كما ان التهافت قد ازداد عليهم في مراكز الابحاث والجامعات المختلفة . ولكن ماذا حدث بعد حرب اكتوبر ؟ ففي غمرة الاتهامات التي تبادلها الاسرائيليون فيما بينهم ، بالنسبة الى مسؤولية التقصير والاهمال في حرب تشرين ١٩٧٣ ، كان للمستشرقين والمتخصصين بالشؤون العربية ، افرادا ومعاهد، نصيب من هذه الاتهامات . وقد كتب الدكتور اوري ميلشتاين مقالا في ملحق دافار (٧٤/٤/١٩) بعنوان : « اين كان المستشرقون ؟ » عرض فيه اراء هؤلاء بعضهم في بعض وفي مسؤوليتهم عن التقصير ، وفي اخفاء حقائق كثيرة تنشأ في العالم العربي عن الاسرائيليين ، والتكييف مع وجهة نظر المؤسسة الحاكمة في اسرائيل . فقد نقل ميلشتاين عن البروفسور يهوشفاط هركابي ، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية سابقا ، والذي ينظر اليه كثيرون على انه الخبير الاكاديمي الاول في اسرائيل ، بمسائل الصراع العربي ـ الاسرائيلي » قوله : « انني لا اعتبر فشل تشرين الاول ١٩٧٣ ، فشلا للسياسيين فقط ، بل هو فشل اكبر ، واذا شئت تقصير ، لرجال الفكر في الدولة . فهم لم يتيحوا للشعب فهم اوضاعه . لقد قال وزير الدفاع انه لا يتوقع حدوث حرب خلال عشر سنوات وجاء نتنياهو بيلد (احد كبار المستشرقين) وكتب ان وزير الدفاع يبالغ ، فلن تكون هناك حرب لفترة اطول كثيرا . وكتب عشرة مقالات اخرى ، وقال : لماذا يبالغون في المسألة الامنية . وانا اتساءل : هل تستطيع امة ان تكون مستعدة للحرب عندما يقولون لها صباح مساء ، انه لا يتوقع حدوث حرب ، وان الطرف الاخر قد تنازل عن الحل بالقوة ؟ » ودعا هركابي الى التدقيق في دور بيلد ، وشمعون شمير الاستاذ في جامعة تل ابيب ورئيس معهد شيلواح سابقا ، في « تقصير حرب يوم الغفران » . ورد شمير بانه لم ينصرف الى الكتابة في الصحف ، كما فعل هركابي ، وانه عني بتوضيح « ان في العالم العربي جماعة تسعى للتسوية مع دولة اسرائيل. لعلها جماعة هامشية ، ولعلها لا تمارس اليوم تأثيرا على صانعي القرارات . واعتبر شمير هركابي منظر حالة الركود « التي سادت المجتمع الاسرائيلي خلال السنوات الاخيرة » . فقد وزعت مقالاته على الجيش الاسرائيلي « بعشرات الالاف من النسخ » وأثرت وزارة المعارف والثقافة كتيباته في برامج التعليم في المدارس ، كما مثل امام لجنة الخارجية والامن ، ودعته غولدا مئير الى الاستشارة ، قبل الحرب وبعدها . « وقد وجهت افكاره الخط الحكومي ، وكانت ، بصورة خاصة، اساسا لموقف غولدا » . كما اتهم شمعون شمير، هركابي ، ايضا بانه نشر افكارا مشوهة عن المجتمع العربي ، ادت الى الاستهانة به ، وهو الذي اوجد مصطلح « لا سامية عربية » . وعرض شمير نموذجا للخلافات بينه وبين هركابي ، هو ان هذا الاخير يعتقد بان مصر مستعدة للانتظار طويلا وعدم القبول بتسوية منفردة في سيناء ، بينما يرى شمير العكس . « ولكنني حذرت من الحرب اكثر من هركابي ... فقد قلت ان السادات خارج الى الحرب بسبب سيناء ، وانه لا يجوز الشك في مدى ارتباط المصريين الفعلي بصحراء سيناء » .

كما عرض ميلشتاين رأي الدكتور حاييم شاكد، رئيس معهد « شيلواح » اليوم . وكان الخلاف الرئيسي بين المستشرقين ، بحسب شاكد : « هل يبقى لدولة اسرائيل ان تنطلق من الافتراض بانه لا يوجد اي حل للصراع بين اليهود والعرب ، وان الشرق الاوسط يعيش حروبا دورية لا يمكن الخروج منها ، او انه يمكن اتخاذ العديد من الخطوات للحيلولة دون الحرب . لقد كان رأيي يميل الى الاحتمال الثاني . كان واضحا لي انه اذا توصل العرب الى الاستنتاج ان ثمة وضعا يمكنهم من حل المشكلة بالقوة ، واذا وصلوا الى حالة من اليأس ، فسيحاولون استخدام القوة . ولكنني اعتقدت ان على دولة اسرائيل ان تعمل كل ما في وسعها ، بمفاهيم المبادرة السياسية ،